تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

انَّ بين الامم التي سكنت في سالف الازمنة مشارف لبنان وارديتهُ شعوبًا دثر رسمهم وباد اسمهم. ومنهم من خلَّفوا لهم ذكرًا كبني كنعان والفينقيين والآراميين فاحتلُّوا ربوعهُ وتوالوا في سكناه فصارت سلالتهم كنواة هذه الشجرة الكثيرة الفروع والعنصر الاصلي لسكَّان لبنان الحاليين. وليس في خاطرنا أنْ ندوّن هنا اساطير هذه الامم فانَّ ذلك يقتضي كتابًا ضخمًا يخرج بنا عمَّا تحرّيناهُ من الخطَّة في الكتابة وانَّما نبحث فقط عن بعض هؤلاء الشعوب الذين يهمُّنا ذكرهم ممَّن قدموا على لبنان فاستوطنوهُ كلهُ او قسمًا منهُ ردحًا من الزمان ثم درسوا اما بالهاجرة الى غيرهِ من الاقطار واما بفتوح الفاتحين او باختلاط بعض بقاياهم بالعناصر الواردة الى لبنان

وهذا النظر العمومي مع قصرهِ كافٍ ليحيط قرَّاءنا علمًا باخلاط القبائل والامم الشتى الذين يتركب منهم اهل لبنان وفي بحثنا هذا نتتبَّع آثار شعبٍ فشعبٍ على حسب توالي الازمنة وكرور الاجيال

١ الحثيون

لم يكن ذكر الحثيين مستفيضًا بين الناس قبل اواسط القرن الماضي. وغاية ما كنَّا نعلم من امرهم ما ورد من اخبارهم في الاسفار المقدَّسة. فانَّ ابراهيم الخليل عقد معهم عهدًا ذكرهُ سفر التكوين (ف ٢٣ ع ١٠ — ٢٠ وف ٢٥ ع ١٠). وكذلك قد اتَّخذ عيسو بن اسحاق امرأتين من بني حثّ (تك ٢٦:٣٤) ومن نسائهم كان اوريَّا الحثي زوج بثشابع احد قوَّاد جيوش داود. هذا الى اشارات أُخرى عديدة يلمح اليها الكتاب الكريم ويؤخذ منها ما كان عليهِ الحثّيون من عظيم الشان وكبير الامر. على ان بعض الكتبة لم يأنفوا من انكار هذه الامور او الارتياب في صحَّتها وذلك لأنهم

لم يجدوا في غير الاسفار المقدّسة ما يؤيد صدقها. وكانوا يزعمون انهُ ليس بين المؤرخين كاتب واحد ذكر الحثيين

وقد شاء الله ان تشهد الاكتشافات الحديثة لصحّة ما ورد في كتبهِ المنزلة وهاك بيان الامر: كان بلغ علماء العاديّات منذ اوائل القرن التاسع عشر انَّ في مدينة حماة صفائح من الحجارة الضخمة عليها كتابات تشبه بعض الشبه الكتابات الهيروغليفيّة المصريّة وهي تختلف عنها. ولم يتسنَّ لاحد من الآثاريين ان يفحصها فحصاً مدققاً الى عام ١٨٧٢. فلمَّا تفرَّغوا لقراءتها في تلك السنة اخذ الدهش منهم كل مأخذ اذ تحقَّقوا انَّ الكتابات المذكورة للحثيين وانَّ هي ألَّا الآثار الاولى التي تنبئ عن دولتهم العظمى التي أتى ذكرها (١. فجعل العلماء ينعمون النظر في آثار تلك الأمة ويبحثون عن دفائن أخرى توقفهم على اسرارهم فما كذَّبوا ان اكتشفوا بعد زمن قليل عدَّة آثار ازالت كل الشبهة فوجدوا العاديّات الحثيَّة متعدّدة في حلب الشهباء وفي سهل عمق شرقي انطاكية وقريباً من الاسكندرونة وفي مرعش وجرابس على ضفَّة الفرات وفي جهات أخرى من بلاد الاناضول. وكانت هذه العاديّات اما كتابات منفردة واما كتابات مع بقايا ابنية فخمة او تماثيل او نقوش منقورة في الصخور او خواتيم وغير ذلك مما اطلع اصحاب النقد على عدَدٍ واسع قائم بذاتهِ. فمذ ذاك الحين دخل الحثيون في نطاق التاريخ ولم يعد احد يشكُّ في وجودهم

ثم واصل العلماء ابحاثهم فاعملوا رائد النظر في كتابات المصريّة القديمة والكتابات الاشوريّة لعلَّهم يجدون فيها ما يزيدهم علماً بهذا الشعب المجهول. فما كذب ظنُّهم بل اطَّلعوا على افادات عديدة تبيَّنوا منها اموراً لا تحصى بخصوص الحثيين ودولتهم. ولحضرة الاب دي كارا اليسوعي فيهم مقالات مهمَّة نشرها تباعاً في مجلَّة الآباء اليسوعيين الايطاليَّة "التمدّن الكاثوليكي" احرزت لهُ ذكراً مستفيضاً بين المستشرقين. ومع كل ما كُتب عنهم في هذه السنين الاخيرة لا يزال العلما يجهارون اشياء كثيرة من اخبارهم واسرار تاريخهم وسيبقى الامر كذلك ريثما لم يسعد الحظّ احداً من ارباب

١) راجع كتاب العلَّامة رَبْت W. Wright: *the Empire of the Hittites* ثم الكتاب The city and the land

العلم على قراءة الكتابة الحثيَّة التي لا تزال مجهولة . ولا نظن احداً يقوى على قراءتها حتى يجد كتابةً بلغتين حثيَّة وغيرها تكون كمفتاح لها كما جرى لشمپوليون عند ما فكَّ اسرار اللغة المصريَّة بواسطة حجر رشيد (راجع المشرق ٣ : ٨٩٢)

صورة احد غزاة الحثّيين (من اثر قديم)

ولكن من كان يا ترى هؤلاء الحثّيون ما اصلهم ما فصلهم ؟ نجيب انَّ الحثيين ليسوا من اهل الشام وانَّما قدموا الى سوريَّة من جهات الشمال . اما عنصرهم فالرأي الشائع حتى الآن انَّهم ليسوا من بني سام (١ . ومما ثبت من امرهم انَّهم كانوا تولَّوا

١) راجع ما كتبهُ في هذا الشان العلَّامة سپيرو في تاريخهِ القديم (٢ : ٢٥٢) ثم دي لنتشير (De Lantsheere) في كتابهِ عن اصل الحثّيين ولغتهم ثم جنسن في كتابهِ عن الحثّيين والارمن وهو يزعم ان الحثّيين قبيلة ارمنيَّة

منذ القرن السادس عشر قبل المسيح البلاد الواقعة في شمالي سوريّة بين نهريّ عفرين والفرات. ثم تقدّموا حتى سطوا في القرن الرابع عشر على وادي نهر العاصي وسهل البقاع حتى جنوب فلسطين في جوار مدينة حبرون حيث اجتمع بهم ابراهيم الخليل وبنوه من بعده

وكانت في ذلك العهد حاضرة ملكهم في سوريّة مدينة قدس التي يظنّ العلماء انّ موقعها كان في المحلّ المعروف اليوم باسم تل مَنْد عند بحيرة قطينة قريباً من حمص (١ ولا نريد هنا ان نبسط الكلام في الحثيين وانّما غايتنا ان نذكر ما كان لهم من العلائق مع لبنان

وان سألتَ هل احتلّ الحثّيون هذا الجبل؟ أجبنا انهُ ليس لدينا اثرٌ صريح ينبئ بهذا الامر ولا غروَ لأنهُ كما قلنا سابقاً لا نعلم الّا القدر القليل من تاريخهم واتساع دولتهم. ونرجح كونهم ضبطوا على الاقل جهات لبنان الشماليّة ولعلّ كيف يقبل العقل انّ امّة قويّة رجالها مغاوير حروب اتّخذت لها عاصمةً مدينة قدس لم تمدّ ظلّ سطوتها على شمالي لبنان وليس بينهما الّا قاب قوسين اعني سهلاً ضيقاً فقط. ولو افترضنا انّ لبنان في زمانهم كان عبارة عن غابات كثيفة كيف اهمل الحثّيون امرهُ وفي وسعهم ان يستثمروا خشب ارزهِ الفاخر ويستخدموهُ لمبانيهم الكبرى وعمائرهم (٢

وعلاوةً على ما تقدّم لا يمكننا ان نسلّم بانّ الحثّيين تغاضوا عن احتلال وادي نهر الكبير الذي يفصل لبنان عن جبل النصيريّة وهم يعلمون انّ هذا الوادي طريق للامم الفاتحة وذلك يظهر من تاريخ الفراعنة انفسهم اذ انّ رعمسيس الثاني لمّا اتى لمقاتلة الحثّيين سارّ الى محاربتهم مارًّا بهذه الطريق

فلا بدّ اذن من القول انّ الحثّيين بعد ان استولوا على البقاع ملكوا ايضاً عطف لبنان الشرقي والمسالك التي تفضي الى لبنان الغربي. ومما يؤيد هذا الرأي ان سهول البقاع المتوسطة كانت في تلك الازمنة القاصية عبارة عن مستنقعات مائيّة لا يمكن

---

١) راجع مقالتنا المدوّنة Notes épigraphiques et topographiques sur l'Emésène, p. 46

٢) راجع مقالتنا في ارز لبنان (المشرق ٣: ١٧٤)

استيطانها فلزم اذن الحثيين ان يسكنوا الجهات المرتفعة فوق تلك البطاح

على أننا نرى دلائل أخرى باقية الى عهدنا تحملنا على ترجيح هذا الامر وهي اسامي عدة امكنة في سورية تُدعى « حتًا » او « كفر حاتا » فارتأى العلماء انَّ هذه الاسماء اشارة الى احتلال الحثيين في بلاد الشام لانَّ « حتًا » او « ختًا » هو اسم الحثيين نفسهُ . فان صدق هذا القول ولعلَّ فيهِ شيئاً من الصحَّة أفليس لنا ان نقول عن القرى الموجودة في لبنان باسم « حتًا » او « كفر حاتا » انَّها آثار باقية من زمن الحثيين. بيد انَّ هذا القول ليس بقاطع لأنَّهُ يُمكن اشتقاق « حتًا » من لفظة سريانيَّة « حدثا » التي معناها « الحديثة » او « الجديدة » ويؤيد ذلك انَّ قرى لبنانيَّة عديدة تدعى ايضاً « حدَث » و « مُحَيدثة » وظنَّ « حتًا » اقرب الى السريانيَّة منها . ولحضرة الخوري الفاضل بطرس شبلي كلام حسن في هذا الشأن اثبتهُ في المجلَّة الكتابيَّة (Revue biblique, 1901, p. 587)

ومن الاسماء اللبنانيَّة الكثيرة الورود اسم « شغور » او « شاغور » كعين شاغور في حمَا وغيرها . وكذلك « جسر الشغر » او « جسر الشغور » في ولاية حلب . وقد ثبت الآن انَّ شاغور كلمة حثيَّة الاصل وهي فيها « ساغورة » (١

هذه آثار جمعناها هنا للاستدلال على اقدم الشعوب الباندة في لبنان وهي كما ترى خفيفة الَّا انَّ أملنا وطيد ان الاكتشافات المستقبلة سوف تطلعنا على ما هو اقوى منها حجَّةً وادلّ بياناً والله على كل شيء عليم (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

BIBLIOGRAPHIE DES OUVRAGES ARABES OU RELATIFS AUX ARABES
publiés en Europe de 1810 à 1885
par V. Chauvin, 6e *fasc.* pp. 204, *Liège* 1902.

قائمة الكتب العربيَّة او المتعلقة بالعرب التي نشرت بالطبع في اوربَّة
من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ (الجزء السادس)

سبق تعريف هذا الكتاب واطراءهُ مراراً في المشرق . وهذا القسم السادس ليس

١) راجع مقالة لحضرة الكاتب الاسقف تريل كتبناها سابقاً كتبها في مجلَّة Mitteil. d. vorderosiot Gesellschaft, 1902, p. 19